IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
مجلة كلية الكوت الجامعة للعلوم الإنسانية
ISSN (E): 2707 – 5648 II ISSN (P): 2707 – 563x
www.kutcollegejournal1.alkutcollege.edu.iq
k.u.c.j.hum@alkutcollege.edu.iq
عدد خاص لبحوث المؤتمر العلمي الثالث لكلية القانون - جامعة واسط للمدة من 17 - 18 نيسان 2024

الوظائف الحجاجية في نهج البلاغة (وصف الموتى انموذجا)

م. د. صابرين خليف مطير [1] ، ا. د. محمود حمود عراك القريشي [2]

انتساب الباحثين
[1، 2] كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة واسط، العراق، واسط، 52001

[1] smutayr@uowasit.edu.iq
[2] mhammodi@uowasit.edu.ig

[1] **المؤلف المراسل**

معلومات البحث
تأريخ النشر : كانون الثاني 2025

المستخلص
قال تعالى : " ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر " (التكاثر 1-2) تعد هذه الآية المنطلق الأول الذي دعا إمام الزاهدين علي بن أبي طالب(ع) لأن يقول هذا الكلام وهو (وصف الموتى) الذي يمثل نصا زاخرا بالمؤثرات الدلالية والنفسية التي تشدّ المتلقي وتستميله لإعادة النظر في الحياة الزائلة والتفكير بالموت ، وترك مفاتن الدنيا والإقبال على الآخرة ولا شكّ في أنّ الخوض في هكذا مدلولات عميقة يحتاج الى ألفاظ متقنة وأساليب جمة لصقل تلك المعاني ومدى وقعها في النفس مشفوعة بمؤثرات دلالية بحتة والحجاج بوصفه عملية اقناع وتأثير حتما سيحتاج الى وسائل كثيرة يخطها لإيصال تلك المعاني العميقة . فجاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على أهم الوظائف الحجاجية في (وصف الموتى) وما يحتويه هذا النص من الوظائف الحجاجية محاولة الكشف عن الجوانب الجمالية والدلالية والأساليب البلاغية وكيف وظّف الإمام علي (ع) تلك الأساليب لخدمة المعاني.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الوظيفة الحجاجية، الأساليب، وصف الموتى

Pilgrimage Functions in Nahj al-Balagha (Description of the Dead as an Example)

Dr. Sabreen Khalif Mutair [1] , Prof. Dr. Mahmoud Hammoud Arak Al-Quraishi [2]

Affiliation of Authors
[1] College of Education for Human Sciences, University of wasit, Iraq, wasit, 52001

[1] smutayr@uowasit.edu.iq
[2] mhammodi@uowasit.edu.ig

[1] **Corresponding Author**

Paper Info.
Published: Jan. 2025

Abstract
God Almighty said: “Procreation distracted you, until you visited the graves” (Al-Attakadir 1-2). This verse is considered the first starting point that prompted the Imam of the ascetics, Ali bin Abi Talib (peace be upon him), to say these words, which is (describing the dead), which represents a text full of semantic influences. And the psychology that attracts the recipient and persuades him to reconsider the fleeting life and think about death, and abandon the charms of this world and turn to the afterlife. There is no doubt that delving into such deep meanings requires elaborate words and many methods to refine those meanings.

Keywords: Pilgrims, Pilgrimage Function, Methods, Description of the Dead

المقدمة

اللغة كائن حي وهي وسيلة من وسائل التواصل بين البشر قد تكون مكتوبة أو منطوقة أو لغة الإشارة ومهما كانت اشكال تلك اللغة فإنّها تحتاج الى ألفاظ تناسب المعاني التي تجول في النفس ، وتختلف هذه المعاني بقوتها فمنها معان قوية تحتاج الى ألفاظ قوية وصور وأساليب متنوعة لإيصال تلك المعاني للمتلقي ، ومنها معاني سهلة بسيطة تكتفي بالألفاظ البسيطة ، وفي الحقيقة فإنّ الخطاب البشري يرتكز على مجموعة من العناصر وهي (المتكلّم ، والمتلقي ، والنص) ويسعى المتكلم في العملية الخطابية الى تسخير لغته مع ما تحتويه من جماليات لفظية وقوة دلالية لخدمة مكنونات نفسه ، وكلما زادت تلك الجماليات أصبح الخطاب أكثر تأثيرا بالمتلقي وأقوى فاعلية من اللغة العادية ، وفي بعض الأحيان يروم المتكلم استعمال الحجج والبراهين والأدلة العقلية لتعضيد قضية ما ، أو الدفاع عن رؤية معينة حينئذ يكون النص خطابيا حجاجيا وهنا يكمن دور الحجاج في كشف اللثام عن الدلالات العميقة التي لا تتأتى من استعمال الألفاظ البسيط ، إذن يمكننا القول بأنّ السياق هو العنصر المهم والمكمل للعملية الخطابية الحجاجية.

ويمكننا القول بأنّ الحجاج عملية تواصلية بين المتكلم والمتلقي هدفها الإقناع والتأثير، ولا يكون الخطاب خطابا حجاجيا الا بوجود وظائف حجاجية مهمة جدا في النص وهذه الوظائف كثيرة ومتنوعة منها: وسائل لغوية بمستوياتها (الصوتية والصرفية

والنحوية والدلالية)، ومنها : أساليب مثل : (اسلوب التعجب ، واسلوب الاستفهام ، واسلوب الأمر ، واسلوب النفي ....الخ) ومنها ما يتعلق بالمتكلم نفسه مثل : بلاغة المتكلم ، فصاحته ، قدرته على توظيف الألفاظ لخدمة المعاني وغيرها ، ومنها دور السياق في توجيه النص ، ومنها الحجج والأدلة التي اعتمد عليها النص الحجاجي . ونظرا لاتساع الموضوع ولا سيّما ونحن نسلّط الضوء على بحر من البحور الاعجازية بعد القرآن الكريم وهو (نهج البلاغة) ؛ لذا سنقتصر على دراسة جزء يسير من الوظائف الحجاجية التي استعملها الامام علي بن أبي طالب(ع) في كلامه لــ(وصف الموتى) محاولة في هذه الدراسة السريعة كشف السر من هذا النص فهل المقصود به وصف الموتى والقبور فقط ام هناك دلالة خفية ما وراء النص ؟؟

الحجاج في نهج البلاغة

من العجز التام أن يحاول الباحث معرفة الحجاج في كتاب عظيم بعد القرآن الكريم وهو كتاب نهج البلاغة هذا الكتاب الذي حوى في طياته على قوة دلالية هائلة ، وهيمنة انتقائية للألفاظ مما جعله نصا حجاجيا بحتا منذ افتتاح كلامه وحتى ختامه ، فما إن يبدأ القارئ يقرأ أو حتى يطالع في نهج البلاغة سيقف مندهشا من غور المعاني وروحية الألفاظ التي تنقل المتلقي من واقعه الى واقع آخر وتجعله مشدود الذهن . سنتطرق الى تعريف الحجاج لغة واصطلاحا ثم ننطلق الى الوظائف الحجاجية في نص (وصف الموتى) .

الحجاج لغة

لفظ الحجاج من الفعل حاجج " حاججته ، أحاجه ، حجاجا ، ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها ، والحجة : البرهان ، والتحاج : التخاصم " والحجة ما يكون به الظفر عند الخصومة [1] فالمعنى اللغوي قائم على التخاصم والجدل والتنازع.

الحجاج اصطلاحا

للحجاج تعاريف كثيرة تختلف باختلاف النظريات الحجاجية والمنطقية فهو تقنيات الخطاب : " هو درس تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذهن الى التسليم بما يفرض عليه من اطروحات " وعبر عنه بعضهم بالوظيفة " الوظيفة التي يضطلع بها الحجاج تكمن في محاولة جعل العقول تذعن لما يطرح عليها من افكار او يزيد من درجة ذلك الاذعان الى المستوى الذي يبعث على العمل المطلوب ، والحجاج بمفهومه الدقيق هو ظهور الحجة في الخطاب او استعمال الادلة والبراهين في الخطاب" [2] ، وعرفه بعضهم بأنّه " نوع خاص من الخطاب يبنى على قضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالاستدلال عبر سلسلة من الادلة مترابطة منطقيا في الاثبات والنفي قصد اقناع المخالف بصدق الدعوى"[3] ، وتتكون العملية الحجاجية من ثلاثة عناصر مهمة لبناء النص الحجاجي وهي : المرسِل المتكلم ، والمحاجَج وهو المخاطب أي المقصود بالكلام ، والعنصر الثالث : الحجج والبراهين في النص[4].

ومن ابرز ملامح الحجاج عند بيرلمان[5] :

- أن يتوجه الى مستمع .
- أن يعبر عنه بلغة طبيعية .
- لا تعدو مسلماته أن تكون احتمالية
- لا يفتقر تقدمه الى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة
- ليست نتائجه ملزمة .

والحجاج موضوعا واسعا كما وصفه بعض الباحثين بقوله :" ان ميدان الحجاج اوسع واشمل من ان تحده قدرة فرد واشمل من ان تحيط به الصفة ، ولا سيما وان تعدد مجالات الحجاج وتعقده ولا سّيما حضوره اليومي في حياتنا كلها اسباب تجعلني لا اؤمن بإمكانية حصر الحجاج في نظرية جامعة"[6] ونظرا لكثرة الدراسات حول موضوع الحجاج ارتأينا أن نعرض عن الخوض في الجانب النظري لنوجه القلم للحجاج في نص (وصف الموتى).

الحجاج في نص (وصف الموتى)

لقد زخرت نصوص نهج البلاغة بأبهى صور الجمال الدلالي المتأتية من اكتمال العناصر الخطابية الحجاجية المتمثلة ببلاغة وفصاحة المتكلم ، فالمتكلم هنا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي تعجز الاقلام عن وصفه وبلاغته وفصاحته فهو امام البلاغة وسيد الفصاحة واامير الخطاب ، والمخاطبين هم عامة الناس الصغير والكبير والفقير والغني والعالم والجاهل وكذلك الموتى فهم ايضا ضمن المخاطبين ولا سيّما في نصه المقصود في هذا البحث وهو نص ((وصف الموتى)) ، وكذلك اكتمال العناصر الاخرى من النص وسماته الدلالية بما حفل به من الالفاظ والمعاني وصور الكنائية والاستعارية والمجازية ، والسياق الذي حكم كل نص من (الخطب ، والكلام ، والحكم ، والامثال وغيرها) احكاما خطابيا حجاجيا . لذا يمكننا القول بأنّ نصوص نهج البلاغة هي نصوص حجاجية متكاملة الاطراف لكونها قائمة على العناصر المتكاملة المبتغاة في الابلاغ

والاستدلال والاقناع فهي أساليب تعبيرية متنوعة تنوعت بتنوع المخاطبين وتنوع السياق .

لقد قدم الإمام علي (ع) الحجج الواضحة والادلة المبرهنة بشكل ملموس واضح جلي في خطبة (وصف الموتى) اذ انماز هذا النص بتنوع الاساليب الحية والدلالات العميقة فهذا النص مثال للنصوص الحجاجية المتكاملة من حيث البناء والوظيفة . هناك من يركز على وظيفة الحجاج وهي (الاقناع) بالبراهين والحجج والادلة ولكن من يقرأ نصوص نهج البلاغة عامة والنصوص التي تتناول الموت والزهد في الحياة بصورة خاصة حتما سيجد ان هناك وظائف كثيرة للحجاج اهمها وظيفة التأثير في المتلقي والنصح والموعظة والارشاد وهذا نجده في نص (وصف الموت) فهو نص ذو طابع تأثيري واقناعي .

نص (وصف الموتى)

قال الإمام علي (ع) هذا النص بعد تلاوته سورة التكاثر قوله تعالى :" ألهاكم التكاثر . حتى زُرتم المقابر " (التكاثر 1-2) وقيل في تفسيرها إنّها نزلت في حيين من قريش وهما بنو أسهم وبنو عبد مناف تفاخروا حتى ذكروا الأموات ، فقال الله تعالى مخاطبا لهم (ألهاكم التكاثر) فالإلهاء هنا الصرف الى اللعب واللهو والانصراف الى ما يدعو اليه الهوى ، والتكاثر التفاخر بكثرة المناقب ، وهو التباهي بكثرة المال والعدد ، وقيل : ما زالوا يتباهون بالعز والكثرة حتى صاروا من أهل القبور وماتوا . وقوله حتى زرتم المقابر فالزيارة اتيان الموضع وقيل في معناه قولان : أحدهما حتى ذكرتم الاموات . وقال الحسن : معناه حتى متم [7] . وقيل : بل كانوا يتفاخرون بأنفسهم وتعدّى ذلك الى أن تفاخروا بأسلافهم الأموات فقالوا : منا فلان وفلان ، لقوم كانوا وانقرضوا [8] ، وحينما وقف الإمام (ع) على قوله تعالى (ألهاكم التكاثر) فإنّه افتتح النص بصيغة التعجب (يا له مراما ما أبعده !) أي لا وجود للفخر في هذا الباب وطلب الفخر هنا بعيد فالتفاخر هو بتقوى الله وطاعته لا بالعدد والاموال ، وزورا هنا الزائرين اشارة الى القوم الذين افتخروا ، فهم بتذكرهم الأموات السالفين كالزائرين لقبورهم . ونظرا لاستيفاء النص من البيان والتوضيح في شروح نهج البلاغة سنعرض عن بيان مفرداته وإعرابها تجنبا للإطالة وسأقتصر على ذكر الصور الجمالية والوظائف اللغوية الحجاجية في هذا النص .

الحجاج اللغوي

الحجاج اللغوي أو التداولي وظيفته العناية بالوسائل اللغوية في النص كون اللغة هي الركن الأساس في عملية التواصل لذلك سلطت ضوأها على دراسة اللغة الطبيعية والضابط هنا أنّ اللغة هي وسيلة حجاجية بحد ذاتها وتقسم وظيفة الحجاج اللغوي على أقسام منها : المستوى الصوتي ، والمستوى الصرفي ، والمستوى النحوي، والمستوى الدلالي .

المطلب الأول

الوظيفة الحجاجية للمفردة اللغوية في (وصف الموتى)

لا شكّ في أنّ مجيئ الحروف المفردة في النص وكثرتها تحقق وظيفة اقناعية من خلال ما تقوم به من ربط الكلمات مع بعضها مما يجعل النص متماسكا متضاما وعن طريق ربط الحجج لتؤدي غرضا واحدا وتختلف معانيها تبعا لورودها في النص وهي كما حددها أحدهم بقوله : " تربط بين الحجج المتساندة "[9] ومن الحروف الرابطة التي شاعت في نص وصف الموتى وحسب قراءتي قد رتبتها حسب مجيئها في النص وهي :

1- الواو : الواو هو حرف عطف وظيفته النحوية الجمع بين الأشياء وكذلك يأتي للقسم ، وأيضا يأتي لترتيب الحجج لتكون في نسيج واحد ويرى بعضهم أنّ تكرار الواو في النص يحقق وظيفة تأثيرية واقناعية من خلال ما يقوم به حرف الواو من ربط الكلام ومساندة الحجج والادلة وتضامها مع بعض وذلك فإنّ كل حجة من هذه الحجج تقوي الحجة التي بعدها [10]. والملاحظ أنّ الواو قد تكرر في نص (وصف الموتى) 83 ثلاث وثمانين مرة في مواضع مختلفة من النص اذ بدأ منذ بداية النص من قوله (ع) :" يا له مراما ما ابعده ! وزورا ما اغفله ! وخطرا ما افظعه ! لقد استخلوا منهم اي مدّكر وتناوشوهم من مكان بعيد !"[11] وهكذا الى نهاية النص ولو دققنا في النص لوجدنا انّ مجيئ الواو قد راعى الترتيب الحجاجي الدقيق إذ رتب الحجج والأحداث واحدة مع الأخرى مما جعل الكلام كالنسيج الواحد اذ لا لاحق بلا سابق ، فكل حدث بعد الواو يتبع الحدث قبله ويبني معه صورة حجاجية تأثيرية . ومع ذلك فقد أدى هذا الرابط وظيفته النحوية من الترتيب والعطف اذ عطف الأفعال على الأفعال وكذلك الأسماء على الاسماء ملتمسا بذلك وظيفتها الدلالية البحتة .

2- الفاء : وهو أحد حروف العطف وأداة من أدوات الربط وتكمن وظيفتها الدلالية الحجاجية بأنّه حرف يفيد الترتيب والتعقيب فتارة يأتي لترتيب الأدلة مع بعضها ، وتارة أخرى يأتي للسببية إذ يكون الحدث الذي بعده نتيجة لما قبله ، وقد تكرر ورود حرف الفاء في هذا النص (14 اربعة عشر موضعا) منها قوله (ع) : " سلكوا في بطون البرزخ سبيلا سلطت الارض عليهم فيه ، فأكلت من لحومهم ، وشربت من دمائهم ، فأصبحوا في فجوات قبورهم جمادا ..." نلاحظ ترتيب الحجة على المتلقي وتسلسل الحدث أي نزلوا في قبورهم وسلطت الارض عليهم اي احتوتهم ولا مجال للهروب فأكلت وهنا استعارة وسنبينها في موضعها في هذا البحث وشربت ، فأصبحوا في تلك الفجوات جمادا ...لاحظ قوة سبك اللفظ لتقوية المعنى كيف بدأ التأثير الحجاجي وكيف رُتبت الأحداث المتعاقبة التي تعقب بعضها بعضا وما هي إلّا حجة قوية ألقاها الإمام علي على المتلقين بترتيب الحدث الزمني للإنسان بعد الموت.

3- أن المصدرية : هو حرف مصدري يفيد التوكيد أو التعليل وظيفته " ايقاع الجملة موقع المفرد ، فتوقعها فاعلا ، ومبتدأ ... وغير ذلك "[12] وورد هذا الحرف في (5 خمسة مواضع) منها قوله (ع) : " ولأنْ يكونوا عبرا ، أحق من أن يكونوا مفتخرا ، ولأنْ يهبطوا بهم جناب ذلةٍ ، احجى من أن يقوموا بهم مقام عزةٍ ...." هنا سخر الامام علي (ع) الرابط (أن) وجعلها وسيلة من وسائل دعم الفكرة واثباتها وايصالها للمتلقي ، وفي استعمالها هنا قوة دلالية أكثر مما لو قال : وكونهم عبرا احق من كونهم مفتخرا ، وقوله : أن يهبطوا احجي من أن يقوموا مقام عزة أقوى دلالة وحجة مما لو قال : هبوطهم احجى من قيامهم ، وبذلك أضاف الإمام طابعا حجاجيا أكثر للجمل ولذلك لسببين : الأول أنّ الفعل المضارع يفيد الاستمرارية فأراد الإمام وصف حالتهم بالاستمرار وعدم التوقف ؛ لأنّ الخطاب موجه للمتلقين الذين يتفاخرون بأمواتهم إذ استمر هؤلاء على هذا الحال لفترة طويلة من الزمن يفتخرون بأسلافهم الموتى وبذلك أراد الإمام أن ينسب الاستمرارية المصدرية اليهم ، والسبب الثاني يكمن في المقارنة التي عقدها الإمام (ع) بين الحدث الأول والحدث الثاني إذ جعل الحدث الأول أقرب للعقل من الحدث الثاني .

4- قد : وهي من الروابط التي تحقق انسجاما في الأفكار والعبارات ، وهو حرف إخباري يدخل على الفعل الماضي والمضارع وتكون وظيفته مع الماضي للتحقيق ، ومع المضارع للتقليل[13] ورد ذكره في (4 اربعة مواضع) وهي مع الفعل الماضي حصرا لدلالته الى التحقيق وتوكيد الحدث ، ومنها قوله : " لقد نظروا اليهم بأبصار العشوة ....." وقوله:" لقد رجعت فيهم ابصارُ العبر .....وقد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستكّت ، واكتحلت ابصارهم بالتراب فخسفت ...." نلاحظ مجيئ (قد) مع الفعل الماضي فقط لدلالة وجود الحجة القوية وهنا تحقق تماسكا حجاجيا اقوى مما لو قيل : نظروا ورجعت ...واستعمال الحرف الرابط (قد) أعطى تماسكا نصيا أعلى وأصبح اللفظ أقوى تأثيرا واقناعا في نفس المتلقي وهي أكثر تأكيدا لحدوث الفعل .

المطلب الثاني

الوظيفة الحجاجية للتركيب (الأفعال الكلامية)

- **الأفعال الكلامية** : الفعل الكلامي هو الفعل التواصلي أو فعل الانجاز الذي تؤدّيه هذه الصيغة التعبيرية في سياق معين ، وكما عرفه بعضهم هو فعل التأثير ، وهو أثر الفعل التكلمي في المستمع[14] . وقد وضع جون سورل الشروط التي يجب توافرها في الأفعال لتحقيق الغاية الحجاجية فإن خلا الكلام من تلك الشروط فإنّه سيخلو من الجمال الدلالي والحجاجي وهي :
- معرفة المعنى الرئيس من ذلك الفعل الكلامي أي معرفة مضمون الكلام .
- غرض التواصل بين المرسل والمتلقي .
- شرط الصدق في النص .
- معرفة المرسل (المتكلم) بقدرة المتلقي وارادته على تقبل النص وطبيعة العلاقة بينهما[15] . ومن الافعال التي شاعت في هذا النص :

1- **الفعل الماضي** : هو اللفظ الدال على حدث وقع في زمن مضى قبل زمن التكلم . وقد ورد الفعل الماضي في نص (وصف الموتى) (92 اثنان وتسعون مرة) ويمثل مجيئه أعلى نسبة من باقي الأفعال وقد حقق الفعل الماضي انجازا دلاليا حجاجيا في نص (وصف الموتى) ومن ورود الفعل الماضي جملة أفعال منها : (لقد نظروا ..وضربوا ...ولو استنطقوا ...ذهبوا) وردت هذه الأفعال الماضية في وصف المتلقين وهم القوم المخاطبين الذين يتفاخرون بأمواتهم وجاء هذا الوصف بصيغة الماضي لتركيز الفعل الدلالي ، وقد ورد الفعل الماضي في وصف الموتى في مواضع منها (سلكوا ، سُلطت الارض عليهم ، فأصبحوا في فجوات قبورهم جمادا ، كانوا جميعا فتشتتوا ، وآلافا فافترقوا، سُقوا ، ظعنوا ، شاهدوا

، خافوا ، رأوا ، قدّروا ، عيّوا) نلاحظ السبك الدلالي والأداء الحجاجي لتلك الأفعال الماضية إذ رتبت حسب الفعل الأدائي بدءا من سلكوا في بطون البرزخ أي لحظة نزولهم الى القبور بعدها سلطت عليهم الارض اي احتوتهم وجعلتهم غير قادرين ع الهروب بدليل القرينة العقلية وهي : فأصبحوا في تلك القبور جمادا لا يستطيعون الحركة ، ثم يأتي أداء دلالي آخر للفعل الماضي وهو الأداء القصصي إذ يصفهم الإمام (ع) بأنّهم كانوا جموع مطمئنين في حياتهم الدنيا فتشتتوا والاف فافترقوا ، وهذا الوصف هو أقرب للأداء التسلسلي والإخبار القصصي إذ سلسل الأحداث لهؤلاء الموتى بقوله :" سُقوا كأسا بدّلتهم بالنطق خرسا ، وبالسمع صمما وبالحركات سكونا ، فكأنهم في ارتجال الصفة صرعى سُباتٍ " فالحدث الأول هو سقوا لم يقل شربوا بل سقوا وذلك لتركيز المعنى فالسقاء أكثر دلالة من الفعل شرب كون السقي قد وقع عليهم أي هو فعل خارجي والسقاء بعد الظمأ الطويل ، ولم يقل سقوا من كأس بل قال : سُقوا كأسا جعل الفعل سقوا يتعدى بنفسه لاتصال الحدث وترابط الأحداث ثم يصفهم بعد ذلك الحال صرعى سبات يمكن استنتاج الحجة بوجود القرينة العقلية للتأثير ذلك السقي عليهم إذ أصبحوا بعد ذلك السقي صرعى سبات أي حال الصريع في حالة سبات وهو نوم عميق ، بعدها يأتي الفعل ظعنوا حيث استعمل الفعل ظعنوا ولم يقل رحلوا أو ذهبوا لدلالة رحيلهم بلا رجوع كأنّهم حين ظعنوا جمعوا كل ما لديهم من أعمال وأنّ الدنيا قد أجبرتهم على شد رحالهم والظعن الى دار أخرى غير دارهم ، ثم يختم حال وصفهم بهذا المقطع من النص بانهم لو كانوا ينطقون عن أخبار ذلك الموقف وعما شاهدوه من أهواله وآياته لعيّوا أي عجزوا أي مهما حاولوا من الوصف فإنّهم غير قادرين على ايصال الفكرة .

ومن تلك الصور الجمالية : " وقد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستكّت ، واكتحلت ابصارهم بالتراب فخسفت ، وتقطعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها ، وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها "هناك قوة دلالية عميقة جعلت القارئ ينشد لوصف أمير البلغاء للموتى استعماله للفعل ارتسخ وذلك للمبالغة في الثبات فالفعل رسخ (رَسَخَ الشيء رسوخا : ثبتَ في موضعه)[16] وممّا زاد من قوة المعنى حروف الزيادة وصيغة افتعل أكثر دلالة من فعل الثلاثي ونحن نعرف أنّ كل زيادة في المبني تتبعها زيادة في المعنى . وهناك صورة استعارية سنبينها في معرض الحديث عن الاستعارة إن شاء الله تعالى . وجاء التسلسل الدلالي ارتسخت اي ثبتت فاستكت اي صمّت ، واكتحلت أبصارهم فخسفت وتقطعت الألسنة وهمدت كل هذه الأفعال بسبكها وصياغتها قد أعطت أداء حجاجيا بحتا للنص .

2- **الفعل المضارع** : هو اللفظ الدال على حدث يجري في الزمن الحالي والمستقبل خلال زمن التكلم ومن دلالاته الحال والاستقبال ، وكذلك يدل على الاستمرارية والتجديد والديمومة وكذلك المقاربة[17] . وقد ورد الفعل المضارع في ثلاثة واربعين موضعا في نص (وصف الموتى) وجميع هذه المواضع تدلّ على استمرارية الفعل وتجديده مما يعطي ديمومة الفعل الحجاجي في هذا النص ومنها قوله (ع) : " أفبمصارع آبائهم يفخرون ! أم بعديد الهلكى يتكاثرون ! يرتجعون منهم أجسادا خوت .....تطؤون في هامهم وتستنبتون في اجسادهم ، وترتعون فيما لفظوا ، وتسكنون فيما خربوا " انما استعمل الامام هنا صيغة الفعل المضارع للدلالة على استمرارية الفعل الأدائي ليدل بذلك على أنّ الفخر والتكاثر من الأحداث المستمرة وهم مازالوا مستمرين بالحدث وكذلك الأفعال تطؤون أي المشي على القبور فالمعنى المشي على رؤوس هؤلاء الموتى التي كانت مرفوعة ثم تحولت الى تراب فأصبحوا مداسا للأقدام ، وكذلك الأفعال ترتعون وتسكنون تدل على استمرارية الحدث وتجديده ويريد (ع) بذلك إنّكم تأكلون ما خلفوه وتركوه ويجوز أن يريد تأكلون الفواكه التي تنبت في أجزاء ترابية خالطها الصديد الجاري من أفواههم ثم ذكر السكن ، أي تسكنون في المساكن التي لم يعمروها بالعبادة ويريد ب(خربوها) أنكم تسكنون في دور فارقوها وأخلوها فأطلق على الخلو والفراغ لفظ(الخراب)[18] .

ومن الدلالات الحجاجية للفعل المضارع دلالته على الحقيقة المطلقة مثل قوله :" فأصبحوا في فجوات قبورهم جمادا لا ينمون، وضمارا لا يوجدون ؛ لا يفزعهم ورود الأهوال ، ولا يحزنهم تنكر الأحوال ، ولا يحلفون بالرواجف ، ولا يأذنون للقواصف " الفجوات جمع فجوة وهي الفُرجة المتسعة بين الشيئين ، أو هي القبر أي أصبحوا كالجماد الذي لا ينمو ولا يزيد ، وهم بذلك لا يبالون بوقوع الزلازل ولا يسمعون القواصف اي الأصوات الشديدة ، استعمل الإمام هذه الصيغ المضارعة في وصف الموتى ليرسم صورة حجاجية اقناعية وهي تأثيرية في الوقت نفسه فعند ايصال الرسالة للمتلقي تجعله يستحضر تلك الصورة صورة الأموات كالجماد مع شدة الاصوات والزلازل قربه .

المطلب الثالث

الأساليب ووظيفتها الحجاجية

اولا- أسلوب الاستفهام

الاستفهام بمفهومه العام هو طلب معرفة شيء خارج الذهن وظيفته الاستعلام عن شيء[19] ويكون صريحا ظاهرا بأسماء الاستفهام وأدواته أو ضمنيا يُفهم من سياق الكلام ، وقد يخرج الاستفهام عن دلالته الصريحة الى استلزام حواري يقتضي مؤشرات داخلية او خارجية وبذلك يقتضي المقام الانجازي للسؤال مقامات انجازية اخرى بحسب مقتضى القرائن السياقية والمقامية (الحجاج في المناظرة : 299/2) ومن مواضع الاستفهام استعمال الهمزة في قوله :" أفبمصارع آبائهم يفخرون ! أم بعديد الهلكى يتكاثرون ! "[20] وهنا قد وظف الامام الهمزة في تحقيق البعد الحجاجي الذي يحقق الاقناع فحقق غاية دلالية تتأتى من قدرته على مد زمنية النص – إن صح التعبير- عن طريق اشراك المتلقي في البحث عن المدلولات الماورائية القابعة خلف مجازية الاستفهام ، وله كذلك قدرة في تسريع الزمنية خاصة في مواقف الشدة والسرعة التي لا يراد بها الجواب بقدر ما يراد بها لفت المخاطب وشد انتباهه بضرورة الاسراع لعمل معين او تركه "[21] فنلاحظ هنا أنّ الإمام استعمل أسلوب الاستفهام للتعجب وهنا هذا التساؤل لا ينتظر جوابا من المتلقي بل غايته الدلالية شد ذهن المتلقي لمعنى أوسع واعمق من الاستفهام بفتح الأفق لذهن القارئ لكيفية الحصول على العظة والنصيحة إذ تجعله يعيد النظر بالمفاخرة بالأموات والهلكى فهم جماد قد خوت أجسادهم وليسوا موضع افتخار بل موضع عبرة . وهو استفهام خرج للتوبيخ والانكار . وهنا للإنكار عليهم التكاثر بعديد الهلكى والتفاخر بمصارع الاباء وتعجبه من التكاثر والتفاخر بمزيد التعجب بقوله (يا له مراما ما ابعده) وفيه من الدلالة على المبالغة في التعجب ما لا يخفى حيت اتى بنداء التعجب اولا وبلام التعجب ثانيا وبالضمير المبهم المفسر بما بعده لوقعه في النفس ثالثا وبما التعجب رابعا وبأفعل التعجب خامسا والمعنى : يا عجبا من مرام هو من البعد بمكان وبالغ في التعجب به غايته[22] .

ثانيا- أسلوب القصر

يحقق هذا الاسلوب وظيفة حجاجية لتأكيد المعنى في ذهن المتلقي والقاء الحجة ، فوظيفة القصر هي " تخصيص شيء بشيء بطرق مخصوصة "[23] ومن أدواته التي وردت في هذا النص (إنّما) وذلك في قوله (ع) : " وإنّما الأيامُ بينكم وبينهم بواكٍ ونوائح عليكم " وكذلك في : " وإنّما كانوا جميعا فتشتتوا ، وآلافا فافترقوا ..." حقق استعمال اداة الحصر (إنّما) - المتكونة من إنّ و ما الكافة التي كفتها عن العمل – وظيفة حجاجية لغرض تنبيه المخاطبين لحقيقة مؤكدة غير قابلة للتكذيب وهي ان الايام عبارة عن دائرة تدور عليكم مثلما دارت عليهم وبكيتم عليهم حتما سياتي يوم ويُبكى عليكم مثلهم ، وكذلك اثبات الحقيقة في الجملة الثانية هي حال كونهم مجموع ثم تشتتوا ، والاف فافترقوا وبذلك قد أثبت الإمام نتيجة وحقيقة لا ينكرها المتلقي ، فالمتلقي يعلم بهذه الحقيقة ولكنه يحاول انكارها من خلال افعاله فجاء القصر هنا رادعا لذلك التفكير بإثبات الحجة عليهم .

ثالثا – أسلوب التعجب

يأتي في الكلام للإفادة التعجب من أمر ما ، له صيغتان : (ما أفعله ، وصيغة أفعل به)[24] وقد تأتي يا النداء مع صيغة التعجب مقرونة بلام التعجب مثل : يا له من شجاع وقد افتتح الامام النص بصيغة التعجب مقرونا بـ(يا النداء) بقوله : " يا له مراما ما أبعده ! وزورا ما أغفله ! وخطرا ما أفظعه ! لقد استخلوا منهم أيّ مدّكر ، وتناوشوهم من مكان بعيد ! أفبمصارع آبائهم يفخرون ! أم بعديد القتلى يتكاثرون ! ...." ذهب بعض الشراح الى ان التعجب هنا قد حقق غايتين : أن يرى المتكلم أمرا عظيما عجيبا فينادي جنسه مثل : يا للماء يا للدواهي ! والثاني : أن يرى أمرا يستعظمه فينادي من له نسبة اليه ومكنه فيه مثل : يا للعلماء وغلب في المنادي المتعجب منه جرّه باللام[25] وقد حقّق التعجب في قوله (ياله مراما ما ابعده !) دلالة أكثر من الصور الأخرى كونه مقرونا بالنداء .

وقد جاء التعجب بأسلوب اخر وهو الاستفهام (افبمصارع ابائهم يفخرون !) هنا خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي الى معنى التعجب .

المطلب الرابع

انماط الاقناع الحجاجي

إنّ الخطاب مهما كانت اشكاله (نص مقروء او مكتوب) لا يحقق السمات الحجاجية والبلاغية إلّا إذا توافرت فيه جملة من عناصر الجمال الدلالي التي يقصدها المتكلم بأدواته المختلفة وهنا يتحقق نجاح النص في تحقيق الغاية السامية من ذلك الخطاب من قدرته على استخدام اللغة استخداما جماليا والتلاعب بالأغراض لتخرج عن معانيها الأصلية الى معاني أخرى تحقق الجمال الادائي وهذا ما أطلق عليه أصحاب البلاغة (المجاز) ، فنرى المتكلم تارة يستعمل اللفظ لغير دلالته الموضوعة ، وتارة أخرى يستهل خطابه بنمط بلاغي ليشد انتباه المتلقين ويجعل المتلقي يتابع النص للبحث

عن النتيجة ، وتارة يسرد الأخبار ويذكر القصص الماضية ليحقق التأثير في المتلقي قبل الاقناع مع صبغة من النصح والموعظة والارشاد وهي أشبه بصعقة قليلة للمتلقي للاستيقاظ من غفلته والرجوع الى ربه ، كل ذلك لا يتحقق إلا باستعمال خطابا مؤثرا يحمل صورا مجازية ذات أساليب تستثير عواطف المتلقي ومن تلك الصور المجازية (الاستعارة ، والمقابلة ، الجناس) وهي على النحو الاتي:

اولا – الاستعارة في نص (وصف الموتى)

الاستعارة هي تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه ، أو هي استعارة بعض الالفاظ في موضع على التوسع والمجاز ، الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة وهي كما وصفها الجرجاني أحد اعمدة الكلام وعليها المعول في التوسع والتصرف ، وبها يتوصل الى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر[26] ، وقد حققت الاستعارة بعدا حجاجيا بحتا في نص (وصف الموتى) إذ إنّها قامت على مفهوم الادعاء كما وصفها بعضهم : " فالاستعارة ليست حركة في الانماط وانما هي حركة في المعاني والدلالات ، هي ليست بديعا ، بل هي طريقة من طرق الاثبات الذي يقوم على الادعاء "[27] و هي ابلغ وسائل الاقناع والتاثير مما جعل البلاغيون يصفونها بانها اخطر الوسائل الحجاجية ، لما لها من طاقة وقدرة على استمالة المتلقي وإقناعه ، فهي أصبحت مقوما حجاجيا بل برهانيا لا غنى عنه في مجال الانسانيات واحتلت مكانا مرموقا منه)[28] وقد زخر هذا النص بصور استعارية حجاجية ومنها في وصف الموتى :

- قوله (ع) : " سلكوا في بطون البرزخ سبيلا سُلطت الأرضُ عليهم فيه ، فأكلت من لحومهم ، وشربت من دمائهم ، فأصبحوا في فجوات قبورهم جمادا لا ينمون ، وضمارا لا يوجدون ..."[29] جاءت الاستعارة في هذا النص بعدة الفاظ منها بطون البرزخ والبرزخ فيه رأيان فأما الأول فهو الحاجز بين الشيئين والبرزخ ما بين الدنيا والاخرة من وقت الموت الى البعث فيجوز ان يكون البرزخ هنا القبر ؛ لانه حاجز بين الميت وبين اهل الدنيا كالحائط المبني بين اثنين ، ويجوز ان يكون الوقت الذي بين حال الموت الى حال النشور وقد ايد الشراح الرأي الأول بأنّه القبر ، ويبدأ البعد الحجاجي في قوله سلكوا في بطون البرزخ استعمل لفظ (سلك) ولم يقل نزلوا ؛ وذلك لضيق المكان وكأنّه مسلك ضيق بدليل قوله فأصبحوا في فجوات قبورهم وذلك للدلالة على مدى ضيق المكان وعدم وجود متسع ، وكذلك (سُلّطت عليهم الأرض) للدلالة على هيمنة الموت وتسليط الأرض عليهم من باب الالتفات الى موضوع في غاية الاهمية بأنّ الأرض التي كانوا يمشون عليها بتبختر وطمأنينة اليوم قد أصبحوا تحت هذا التراب وهذه الأرض واستعمل اللفظ سلطت لتركيز الدلالة الحجاجية وهي للكناية عن ضعف حالهم وعدم قدرتهم على شيء وعلى حركة بدليل قوله فأصبحوا جمادا وضمارا ....ويمكن تصور الحالة لهؤلاء من الوصف الدقيق إذ إنّهم في فجوة من الأرض مسلك ضيق وهم بداخله وسلطت عليهم الأرض بمعنى لا يوجد مخرج آخر ولا منفذ فأصبحوا جمادا ، ومما أزاد من قوة الاستعارة قوله (اكلت من لحومهم وشربت من دمائهم) فالمعروف أنّ الأرض جماد لا تأكل ولا تشرب ولكن نسب الأكل والشرب اليها من باب المجاز والاستعارة ، فإنّ المأكول والمشروب يصيران جزءا من بدن الآكل والشارب ، بحيث إنّ أبدانهم في البرزخ تصير الى البلى ترابا وتنقلب بالأجزاء الارضية فكأنّ الأرض كانت لهم آكلة شاربة[30] . ويرى بعض الشراح أن (من) هنا تفيد التبعيض اي أن الأرض تأكل من اجسامهم قليلا قليلا حتى تنتهي الى آخر جزء من الجسد وكذلك شرب الدم حتى يصبح الجسد جمادا ويصبح كالخشبة اليابسة وهنا استعمل الإمام معاني مادية حولها من معانيها الحقيقية الى معاني مجازية لتعزيز النتيجة وايضاح الحجة وقد ساعدت هذه الاستعارة التصريحية على " لفت الانتباه والامتاع ، فحسن التصوير وتبادل الوظائف والصفات بين الماديات والمجردات ، وبين الجمادات والانسانيات وبين الاقناع الذي لا يأتي من أفعال الناس فحسب ، بل من الأشياء عندما تكسوها صفات الإنسان فتعرب عن نفسها بنفسها ، وتجلي الفكرة بصلبها وملاحقها ، لا يخلو من منطق وبيان يعتمران أجساما بلاغية ، فتلتحم متعة التصور ومنطق الطرح الذي يؤدي الى الإقناع" [31] .
- وقوله : " عميت أخبارهم ، وصمّت ديارهم ولكنهم سُقُوا كأسا بدلتهم بالنطق خرسا ، وبالسمع صمما" هنا نسب الإمام(ع) العمى الى الأخبار والصم الى الديار من باب الاستعارة ، فالأخبار والديار أشياء معنوية ولكن نسب اليها الصفات المادية لتقوية الفعل الحجاجي إنّما استعمل هذه الاستعارة لشد انتباه المتلقين وترك مفاتن الدنيا واللهو فيها وتوجيه نظرهم الى حياتهم الأخرى فجاء توظيف هذين اللفظين العمى والصم توظيفا دلاليا وحذف المستعار منه ؛ ولعل السبب الذي دعا الإمام الى استعمال هذين اللفظين دون غيرهما (العمى والصم) ؛ وذلك لأهمية هذه الحواس للإنسان لجعل المتلقي يُنشئ علاقة دلالية بين الألفاظ والمعاني .

- هذه الجملة على لسان الموتى في حال سؤالهم عن أخبارهم فقال الإمام(ع) : " وتوارثنا الوحشة ، وتهكّمت علينا الربوع الصموت ، فانمحت محاسن اجسادنا ، وتنكرت معارف صورنا " نسب الوراثة للوحشة من باب الاستعارة والمقصود أنّ (كأنّه لما مات الأب استوحش اهله ، ثم مات الابن واستوحشوا منه ايضا ، وصار كأنّ الابن ورث الوحشة من أبيه كما تورث الأموال فهو من باب الاستعارة فالوحشة لا تورث وإنّما هو فعل خرج إرادة البشر ، وتهكمت ورويت تهدّمت أي تساقطت القبور وهي أيضا استعارة كون القبور لا تتساقط على الموتى ولكن أراد ايصال دلالة عميقة ملفتا النظر الى المفارقة الدلالية في التسلسل الادائي موت ، وحشة ، تهدمت القبور ، انمحت محاسن الاجساد الناعمة والوجوه النظرة ذلك الانسان الذي كان يخشى على جسده من الحر والبرد مترفا منعما هانئا بالعيش الرغيد مستعملا ابهى درجات العطر والمستحضرات مرتديا اغلى الملابس التفاته من الامام الى المتلقين بان كل تلك الاشياء ستُمحى بلمح البصر وتنتهي الى الافول بل حتى صورة الانسان تتغير وتبلى ولم يتبق الا العضم ، وكذلك وصف الربوع القبور بالصموت وجعلها صموتا إذ لا نطق فيها ابدا وجاء استعمال صيغة فعول صموت اقوى دلالة من صيغة فاعل مما لو قال(الربوع الصامتة) بل للمبالغة في وصفها بالصمت كونها صموتا ليلا نهارا فالمقابر هادئة صامتة في كل وقت ، والملاحظ في هذا المقطع الخطابي من النص أن توجيه الخطاب لم يقتصر على زمنه فقط ، بل تعداه ليشمل الحاضر والمستقبل إذ نشعر ونحن نقرأ بأننا نحن المتلقين وهذا ما يميز الخطاب الحجاجي في نهج البلاغة إذ المقصود منه المتلقي في كل زمان ومكان فالدلالة دلالة مفتوحة مطلقة غير مقيدة بقرينة .
- من الاستعارة قوله : " بليت بينهم عرا التعارف ، وانقطعت منهم أسباب الإخاء " فهذه من الاستعارات اللطيفة المستحسنة كما وصفا ابن ابي الحديد[32] .
- ومن المقاطع الدلالية المؤثرة في نص (وصف الموتى) قوله الذي جمع أسلوب الشرط والاستعارة مما زاد النص تأثيرا وخوفا ورهبة بخطابه للمتلقي واضعا المتلقي يرسم صورة لذلك المشهد العظيم فقال : "فلو مثّلتَهم بعقلك او كُشف عنهم محجوب الغطاء لك ، وقد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستكّت ، واكتحلت أبصارهم بالتراب فخسفت ، وتقطعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها ، وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها ، وعاث في كل جارحة منهن جديد بلى سمّجها وسهّل طرق الآفة اليها ، مستسلماتٍ فلا أيدٍ تدفعُ ، ولا قلوبٌ تجزعُ ، لرأيتَ أشجانَ قلوبٍ ، وأقذاءَ عيونٍ " (ارتسخت اي مبالغة في رسخ النقصان والنضب ، الهوام الديدان ، استكّت صمّت ، خسفت اي فقئت ، وذلاقة اللسان حدتها في النطق ، سمّجها اي قبصها ، اشجان قلوب اي هموم ، اقذاء العيون ما يسقط فيؤلمها) استعمل الامام الفعل ارتسخ وذلك للمبالغة في الثبات فالفعل رسخ (رَسَخَ الشيء رسوخا : ثبتَ في موضعه)[33] ومما زاد من قوة المعنى حروف الزيادة وصيغة افتعل اكثر دلالة من فعل الثلاثي وحن نعرف ان كل زيادة في المبني تتبعها زيادة في المعنى ، يرى ابن أبي الحديد أن الفعل ارتسخ هنا ليس معناه ثبت بل من رسخ الغدير اذا نش ماؤه ونضب ويقال : ارتسخت الأرض بالمطر اي ابتلعته[34] . ونحن نوافق الراوندي فيما ذهب اليه من أن الفعل ارتسخ هنا للمبالغة في الثبات ؛ وذلك لوجود قرينة وهي التصاق اسماعهم بالهوام أي بالديدان التصقت وثبتت بها ثباتا حتى استكت أي صمّت أي بمعنى شدة التصاق الأسماع بالديدان حتى تراكمت هذه الديدان في الأذان فصمتها ، وهو من باب الاستعارة أيضا اذ نسب الالتصاق والارتساخ والثبات للأسماع وحذف المستعار منه وهي الأذن وكذلك اكتحلت أبصارهم ونحن نعرف أن التي تتكحل العين وليس الأبصار ولكن حذف العين وأبقى لازمة من لوازمها وهي البصر نسب لفظ اكتحلت للأبصار فصار التراب كالكحل في اعينهم فخسفت اي ففقئت ، لم يقل فانطفئت ولم يقل فأغمضت بل استعمل أداء حجاجيا واضحا تسلسل دلالي اكتحلت ففقئت أي غارت وذهبت في الرأس وظّف هذه الألفاظ توظيفا دلاليا جعلت المتلقي يستغرق بالتفكير والتلذذ والبحث عن النتيجة . وكذلك هناك استعارة في قوله (فكم أكلت الارض من عزيز جسد وانيق لون)
- وقوله : " فبينا هو يضحك الى الدنيا وتضحك اليه في ظل عيش غفول اذ وطئ الدهر به حسكه ونقضت الايام قواه ، ونظرت اليه الحتوف من كثب ..." نسب الإمام لفظ تضحك الى الدنيا فالدنيا لا تضحك انما استعار اللفظ وهو من صفات الكائن الحي لغاية دلالية ، وكذلك استعار وصف الغفول للعيش وهي للدلالة عن عيش الانسان الرغيد ذلك الانسان الغافل وفجأة تتغير احواله وهنا لفظ وطئ الدهر حسكه ايضا استعارة استعار لفظ الحسك – وهو نبات تعلق قشرته بصوف الغنم في ورقه شوك ذو ثلاث شعب – للدهر وهنا نلاحظ

وجود مفارقة دلالية واضحة بين العيش الرغيد والهانئ واذا بهذا النبات ذي الاشواك قد وطئ به وهي كناية عن احتوائه من جميع الجهات وكذلك نسب صفة النظر التي هي من صفات الانسان الى الحتوف اي الموت اي نظر اليه الموت عن قرب لاحظ القرب بين الحتوف والميت حينما قرب منه ووطئ به حتما سينتهي أجله .

ثانيا – الجناس

ويقصد بالجناس " أن يورد المتكلم في الكلام القصير نحو بيت من الشعر ، والجزء من الرسالة او الخطبة كلمتين تجانس كل واحجة منها صاحبتها في تأليف حروفها[35] . يحقق الجناس وظيفة حجاجية تتأتى من الحروف المتكررة في النص او الخطاب وكذلك الصيغ المتكررة ، ومن امثلة الجناس في نص (وصف الموتى) قوله (ع) : " ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية ، والربوع الخالية ، لقالت : ذهبوا في الارض ضُلّالا وذهبتم في أعقابهم جُهّالا ..." قد جانس بين (الخاوية والخالية ، وضُلّالا وجُهّالا) فجاءت هذه الألفاظ تحمل جرسا ونغما يثير المتلقي ويبعث على الانفعال .

وكذلك ورد الجناس في مواضع متفرقة منها: " لا يفزعهم ورود الأهوال ، ولا يحزنهم تتنكّر الأحوال ، ولا يحلفون بالرواجف ، ولا يأذنون للقواصف " جانس بين (الأهوال والأحوال ، وكذلك بين الرواجف والقواصف) استعمل هذه الألفاظ وجانس بين حروفها لتعضيد الفكرة الرئيسة وهي وصف الموتى مع جرس لذيذ وايقاع لطيف ، جعل فيه من الموسيقى والنغم ما يحمل الآذان على الإصغاء "[36] ومنها " فلا ايد تدفع ولا قلوب تجزع .....كان في الدنيا غذيّ ترفٍ وربيب شرفٍ " جاءت الالفاظ (تدفع وتجزع ، وترف وشرف) متجانسة في حروفها وهذه الالفاظ التي وردت في هذا النص لم تأت لغرض زخرفي فقط ، وانما جاءت لغرض حجاجي يساعد في بلوغ الغاية المبتغاة من الخطاب وساعدت تلك الالفاظ على توليد معان واثباتها وانتاج موسيقى تأثرية في ذهن المتلقي .

ثالثا – المقابلة

ويقصد بها " الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة "[37] والطباق لا يقل اهمية عن الاجناس البلاغية الاخرى اذ يحقق تأثيرا اقناعيا في الخطاب نفسه ومنها قوله (ع) : " ولأن يكونوا عبرا ، أحق من أن يكونوا مفخرا ، ولأن يهبطوا بهم جناب ذِلّة ، أحجى من أن يقوموا بهم مقام عِزّة ...." وجاء الطباق في الفاظ (عبرا ومفتخرا ، وذلّة وعزّة) وهو طباق بين اسمين وكذلك الطباق بين الفعلين (يهبطوا، يقوموا) وكذلك ورد الطباق في ألفاظ بقوله " غُيّبا لا يُنتظرون وشهودا لا يحضرون، وإنّما كانوا جميعا فتشتتوا ، وآلافا فافترقوا .....ولكنهم سُقوا كأسا بدلتهم بالنطق خرسا ، وبالسمع صمما ، وبالحركات سكونا ....فكلهم وحيد وهم جميع ، وبجانب الهجر وهم اخلاء ، لا يتعارفون لليل صباحا ، ولا لنهار مساء " نلاحظ الالفاظ المتضادة (غيبا وشهودا ، كانوا جميعا اي مجموعين فتشتتوا ، وآلاف فافترقوا ، النطق قابله الخرس ، والسمع قابلها الصمم والحركات سكون ، ثم وصفهم بصفة اخرى فقال كل واحد منهم موصوف بالوحدة وهم مع ذلك مجتمعون ، وهم مجتمعون بجانب الهجر وهم مع ذلك اهل خلّة ومودة وهذا كلّه من باب الصناعة الرشيقة كما وصفها الحديد ، وكذلك وردت الفاظ مع اضدادها مثل ليل صباح ..نهار مساء .

ومن المقابلات اللطيفة في هذا النص قوله : " ففزع الى ما كان عوّده الاطباء من تسكين الحارّ بالقار ، وتحريك البارد بالحار ، فلم يُطفئ ببارد الا ثوّر حرارةً ، ولا حرّك بحارّ الا هيّج برودة ..." سخّر الامام هذه المقابلات لتأكيد الدلالة وتخدم المعاني لتكون أشد تأثيرا ، وأقوى اقناعا فجاءت الالفاظ متقابلة مع اضدادها مثل (تسكين ، تحريك) وهو مقابلة بالأفعال ، والحار والقار القار أي البارد ولكنه استعمل لفظ القار ليجانس ما قبله في حروفه وسكناته ، البارد الحار ، ثم يأتي التقابل الأضدادي في سياق جملة وهو : فلم يُطفئ ببارد الا ثوّر حرارة ، ولا حرّك بحار الا هيّج برودة نلاحظ قوة السبك الدلالي كيف قابل كل لفظ بمعناه الضد مرتقيا بذلك سلم الحجاج الاقناعي والتأثيري فجاء بهذه الالفاظ للتزيين اللفظي والمعنوي فأمّا اللفظي فهو انسيابية الألفاظ بنسق لغوي واحد دون أن تخرج عن أوزانها وحركاتها وسكناتها بحيث جاءت متشاكلة لا تشعر القارئ بالملل بل تشدّه وتحاول تستثير أذان المتلقي لمعرفة المزيد ومواصلة القراءة ، وأما المعنوي فيكمن في توظيف الامام (ع) هذه الألفاظ توظيفا دلاليا لخدمة المعاني فجاء بها متقابلة متضادة في النص ذاته ، وقد حققت هذه المقابلات الى جانب وظيفتها الدلالية تعظيما لوصف الموتى وانتقال حالهم من النعيم والعيش الرغيد والسعادة الى الرحيل وترك كل شيء .

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم النعم ، بعد هذه الجولة في نص (وصف الموتى) توصل البحث الى النتائج الآتية :

- الحجاج يعني استعمال البراهين والأدلة العقلية وهو ظهور الحجة .
- إنّ نجاح الخطاب في تحقيق سمة الحجاجية يرتكز على مقومات أساسية منها :قدرة المتكلم على التلاعب بالألفاظ ونقلها من معانيها الاصلية الى معان مجازية وبلاغته وفصاحته ، ووجود غرض أساسي مهم استدعى تلك الألفاظ ، وجود جمهور متلقين لتوجيه الرسالة ، ويأتي السياق معضدا الرسالة الخطابية .
- الوظائف الحجاجية هي الوسائل اللغوية التي يحتويها النص وتشمل (المستوى الصوتي ، والمستوى الصرفي ، والمستوى النحوي ، والمستوى الدلالي) فضلا عن السياق والأساليب .
- تؤدي الوظائف الحجاجية في أي خطاب أغراضا حجاجية تأثيرية واقناعية في الوقت نفسه .
- يتوقف تحقيق الحجاجية على الأنماط البلاغية ومدى توافرها في الخطاب لكي يكون خطابا تأثيريا اقناعيا
- يعد كتاب (نهج البلاغة) نموذجا حيا لتوظيف الوسائل الحجاجية اذ زخرت نصوصه بأبهى الصور الدلالية والبلاغية والإعجازية .
- تبيّن لنا أن الإمام علي (ع) قد أحسن الوصف الغيبي للأموات ، فالملاحظ في وصفه للموتى وما يجري عليهم في نص (وصف الموتى) جعلتنا نتساءل كيف يمكن للإنسان أن يصف عالما غيبيا ما وراء الحياة الدنيا ذلك الوصف الدقيق منذ سكرات الموت وكيفية خروج الروح وانتقال الإنسان من حال الى حال مع وصف دقيق للقبور وهدوئها وتساؤل الموتى بينهم جعلت المتلقي يشد انتباهه ويسترعي فطنته كيف لرجل أن يصف شيئا غيبيا بهذا الوصف الدقيق ؟ إنّما هي مكانة عليا من الله سبحانه وتعالى قد أعطاها الله للإمام علي (ع) جعلته ينفرد بها في كل زمان ومكان ، إذ يمكن أن نقول أنّ الله عز وجل قد وهب للإمام العلم اللدني الإلهي الذي لا يضاهيه أي احد من الأولين والآخرين .
- لهذا النص بنية تواصلية تحكمها المقصدية جعلت الإمام قد وازن بين الوظيفة التعبيرية بالألفاظ والأساليب والوظيفة التأثيرية الحجاجية وقد خلق ذلك جوا فعّالا ومؤثرا مع التركيز على أسباب ذلك النص .
- يتميز (نص وصف الموتى) بالتجدد والاستمرارية فهو خطابا موجها لكل المتلقين في كل زمان ومكان .
- زخر هذا النص بالأسايب البلاغية ، والأنماط الدلالية المختلفة.

الهوامش

(1) لسان العرب ، 27/2 مادة (حجج) وتهذيب اللغة للازهري : (مادة حج)

(2) ينظر : الفروق اللغوية ابو هلال العسكري : 122/1 و اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم : 299، في اصول الحوار وتجديد علم الكلام طه عبد الرحمن : 65

(3) ملامح الحجاج في الخطاب القرآني من خلال البنية النصية لسورة يس : 194

(4) ينظر أساس البلاغى : مادة حجج

(5) الحجاج في البلاغة المعاصرة : 107

(6) الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه / 44

(7) ينظر تفسير التبيان للطوسي 401/10

(8) ينظر : شرح ابن أبي الحديد : 95/10

(9) تجليات الحجاج في القران الكريم : 159سورة يوسف انموذجا

(10) ينظر : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية : 472

(11) نهج البلاغة / خطبة 221 : 338 .

(12) المقتضب للمبرد : 214/3

(13) الجنى الداني في حروف المعاني : 254-256

(14) اللسان والميزان او التكوثر العقلي : 260

(15) ينظر : اللسان والكلام أو التكوثر العقلي / طه عبد الرحمن : 260-261

(16) لسان العرب : (مادة رسخ) .

(17) ينظر : شرح ابن عقيل 2: 335 ، اوضح المسالك : 201/4، وهمع الهوامع : 17/1، مغني اللبيب : 255/14 ومعاني النحو : فاضل السامرائي :280/3

(18) ينظر : شرح نهج البلاغة الحديد : 149/11

(19) ينظر : اسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية : 23

(20) نهج البلاغة / خطبة 221، 338

(21) اسلوب الاستفهام في شعر الاعشى دراسة بلاغية : د. صالح كاظم صكبان : 387

(22) ينظر : شرح الخوئي : 198/14

(23) الايضاح في علوم البلاغة : 280/3

(24) ينظر حاشية الصبان : 365/1 ،وشرح ابن عقيل 147/3

(25) ينظر : شرح الخوئي : 196/14

(26) ينظر : علم البيان عبد العزيز عتيق : 169

(27) الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج مجلة المناظرة العدد (41) : 70

(28) الاستعارة في محطات يونانية وعربية : محمد الولي : 458

(29) نهج البلاغة خطبة 221 /339

(30) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : 203/11

(31) الخطاب الحجاجي قراءة في كتاب (المسكين) للرافعي : 496-497

(32) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : 101/11

(33) لسان العرب مادة رسخ

(34) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : 106/11

(35) الصناعتين : 330

(36) البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل : 69

(37) الصناعتين : 93

المصادر

- القرآن الكريم
- اساس البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، دار احياء التراث العربي، 2005 .
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد ، ط1، 2004م.
- الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج ، طه عبد الرحمن ، مجلة المناظرة ، العدد 41، 1991م.
- الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، محمد الولي ، منشورات دار الامان ، الرباط- المغرب ، ط1، 2005م.
- اسلوب الاستفهام في الاحاديث النبوية ، دراسة نحوية بلاغية تداولية ، ناغش عيده ، الجزائر ، 2012م.
- اسلوب الاستفهام في شعر الاعشى دراسة بلاغية ، صالح كاظم صكبان ، مجلة واسط للعلوم الانسانية /جامعة واسط ، العدد 22، 2014م .
- اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم ، اشراف حمادي صمود ، كلية الاداب ، تونس ، ط1، 1999م.
- اوضح المسالك الى الفيى ابن مالك ، جمال الدين ابن هشام ، تح: بركات يوسف هبود ، دار الفكر للطباعة والتوزيع ، بيروت .
- الايضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين القزويني ، تح: محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، ط3.
- البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل ، محمد بركات حمودي ، دار البشير ، ط1، 1992م.
- التبيان في تفسير القرآن ، شيخ الطائفة ابو جعفر الطوسي ، تحقيق وتصحيح : احمد حبيب قصير العاملي، ط1، 1409هـ.
- تجليات الحجاج في القران الكريم سورة يوسف انموذجا ، حياة دحمان ، تح: عز الدين صحراوي ، جامعة الحاج لخضر ، 2013م.
- تهذيب اللغة ، محمد بن احمد بن الازهري ، تح: محمد عوض مرعب ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط1، 2001م .
- الجنى الداني في حروف المعاني ، بدر الدين حسن المرادي ، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1، 1992م.
- حاشية الصبان على شرح الاشموني لألفية ابن مالك ، ابو العرفان محمد بن علي الصبان ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1، 1997م .
- الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة بنيته واساليبه ، سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، الاردن ، ط1، 2008م .
- الخطاب الحجاجي قراءة في كتاب (المسكين) للرافعي ، هاجر مدقن ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، 2003م
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ط20، 1980م.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي ، تح: محمد ابراهيم ، مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي ، ط1، 2007م.
- الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العنصرية ، بيروت ، 1419هـ.
- علم البيان ، عبد العزيز عتيق ، دار الفكر ، 2002م.

- الفروق اللغوية ، ابو هلال العسكري ، تح: محمد ابراهيم سليم ، دار العلوم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة-مصر.
- لسان العرب : محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور الأنصاري الافريقي(ت711ه)، دار صادر، بيروت ، ط3، 1414ه.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د. طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1، 1998م .
- معاني النحو ، فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر للطباعة ، الاردن ، ط1، 2000م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، عبد الله بن هشام ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، ط1، 1411هـ .
- المقتضب ، محمد بن يزيد المبرد ، نح : محمد عبد الخالق عضيمه ، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، مصر ، ط1، 1386هـ .
- ملامح الحجاج في الخطاب القرآني من خلال البنية النصية لسورة (يس) ، د. محمد بو سكرة ، مجلة حوليات الآداب واللغات جامعة محمد بوضياف المسيلة / الجزائر العدد 1 ، 2022 .
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، العلامة المحقق ميرزا حبيب الهاشمي الخوئي ، تح: علي عاشور ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط1، 2003م .
- نهج البلاغة : علي بن أبي طالب(ع)، جمع: السّيد الشّريف الرّضي(ت406ه)، ضبط: د. صبحي الصالح ، دار الكتاب المصري، القاهرة ، ودار الكتاب اللبناني ، بيروت، ط4، 2004م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية ، مصر، (د.ت).